الأهرام

المصدر: الوفد

التاريخ: ٦ يوليو ١٩٩٥

دراسة تطلب من كل مصرى وسودانى قراءتها

السودان هل يملك فنياً واقتصادياً وعسكرياً القدرة علي "العبث" بمياه النيل؟

حلمي احتمالات مياه حمام السودان بالعبث في مياه النيل.. وهل نسمع طبع السودان ذنبا وماليا بتنفيذ مشروعات تحد من حصة مصر من مياه النهر.. وهل هذا ممكن؟! ثم ماهي احتمالات وصول العبث البشيري - الترابي الى مجرد التفكير في ذلوبث

مياه النهر.. وكيف؟ تلك دراسة يجب أن يقرأها كل مصري ليعرف أبعاد هذه المؤامرة والاحتمالات. وقبل أي مصري يجب علي نظام البشير - الترابي أن يقرأها حتي سطرها الأخير لأن أي إقدام علي ارتكاب تلك الجريمة، بل مجرد التفكير فيها يعني الحرب.. وهي حرب مشروعة من جانبنا لأننا - هنا - نرد خطرا محدقا على كل المصريين

الخرطوم غرقت في شبر ماء من الأمطار.. فقط!

منذ سنوات قليلة زادت حدة الأمطار فاندفعت المياه لتغرق الخرطوم ذاتها وتغرق كل بيوتها وشوارعها.. نقول هذا لنحذر حكام الخرطوم من أن أي محاولة لمنع مياه النيل عن مصر - أو الحد منها - سوف تؤدي إلي إغراق كل شرق ووسط وشمال السودان فهل هذا هو الطوفان الذي تقدمه عصابة البشير - الترابي هدية للأشقاء؟!

دراسة بقلم:

عباس الطرابيلي

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الايطاليون حاولوا عام ١٩٣٥ سد مخرج النيل الأزرق من أثيوبيا لحرمان مصر من المياه

الانجليز فكروا عام ١٩٥٦ في تكرار المحاولة للضغط على مصر بعد تأميم قناة السويس

أثيوبيا.. أيام الشيوعي منجستو حاولت ذلك بتخطيط سوفييتي - إسرائيلي!

لأن مصير مصر المائي يرتبط بالنيل الأزرق أساساً، وأكثر كثيراً مما يرتبط بالنيل الأبيض، فإن الإهتمام المصري بهذا النيل الأزرق يقوم على أن هذا النهر وروافده - بالإضافة الي نهر عطبرة الذي ينبع أيضاً من الهضبة الأثيوبية - هو المصدر الرئيسي للطمي الذي أنشأ دلتا النيل في مصر وبالتالي مصدر غناها.. ومن المؤكد أن هذا كان أحد الأسباب التي قام عليها الأمن القومي المصري.. اي تأمين منابع النيل. لضمان استمرار وصول المياه الحاملة لمصدر الحياة إلي مصر. وقد وضح هذا الفكر القومي الأمني المصري أيام محمد علي باشا عندما أرسل جيشين لتحقيق هذا الهدف عام ١٨٢٠ - بجانب أهدافه الأخرى - وكان الجيش الأول بقيادة ابنه الثالث اسماعيل باشا «غير الخديو اسماعيل» حفيده. لينطلق إلي النيل الأزرق وليصل إلي حدود أثيوبيا لتأمين هذا المنبع الأساسي لمياه النيل.. وكان الجيش الثاني بقيادة محمد بك الدفتردار ليؤمن النيل الأبيض المنبع الثاني القادم من بحيرة فيكتوريا.. وتم ذلك بالفعل. بل أن محمد علي نفسه زار السودان عام ١٨٣٨ وكان عمره وقتها ٦٩ عاماً وأقام في السودان أربعة أشهر وهو صاحب الفكرة الأولي لمشروع الجزيرة حيث يلتقي النيل الأزرق بالنيل الأبيض وتحويل هذه الجزيرة إلي مزرعة هائلة للقطن والنيلة! كما قال الان مورهيد في كتابه «النيل الأزرق». وقد وصل محمد علي خلال جولته في النيل الأزرق إلي فاظوغلي وهو مركز هام جنوب الروصيرص علي الحدود مع أثيوبيا.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وعلي كل حال فاننا يمكن القول ان جميع أجزاء وادي النيل من بلاد الحبشة إلي البحر المتوسط صارت في نهاية ١٨٢٣ تحت يدي محمد علي. ما جاء في كتب الرحالة فريدريك كايو «رحلة إلي مروى وإلي النيل الأبيض وما وراء فاظوغلي طبع ١٨٢٦ و«الرحالة جورج بيتيون انجلش الأمريكي» الحملة علي دنقلة وسنار طبع بتوسطن ١٨٢٣ «واليوميات التي كتبها وارنجتون وهامبيوري» وغيرهم من الرحالة»

العبث بمياه النيل فكرة عمرها مئات السنين

والعبث بمياه النيل - بهدف الإضرار بمصر - فكرة قديمة!! وكان من الشائع كما يقول الان مورهيد في كتابه الهام «النيل الأزرق» في جميع العصور التفكير في أن احتجاز أو تسميم النيل الأزرق عند منبعه في أثيوبيا كوسيلة فعالة للقضاء علي مصر.. وكان هذا هراء بطبيعة الحال كما يقول المؤلف، فحتي في وقتنا هذا عجزت عبقرية الهندسة العصرية بكل امكاناتها عن تحويل النيل عن مجراه العام، أو الحيلولة دون فيضانه السنوى. كما أن تسميم مثل هذه الكمية الهائلة من الماء حلم شرير ينم عن سذاجة تامة. بل - كما يضيف الان مورهيد - أنه ما من أحد في العقد السادس من القرن الماضي كان موقناً من هذه الحقائق كلها. ويذكر مورهيد أن المصريين عندما جاء الفيضان منخفضاً جداً عام ١٠٩٣م ارسلوا بعثة سياسية إلي الحبشة لاقناع امبراطورها باطلاق مزيد من الماء من هذا النيل الأزرق. وهو مالم يكن طبعاً في وسعه أن يفعله، كما يقول المؤلف..

الإيطاليون والعبث بمياه النيل الأزرق

وتجددت أوهام العبث بمياه النيل الأزرق أيام الاحتلال الايطالي للحبشة. فقد كان الصراع علي افريقيا رهيباً بين المستعمرين جميعاً وقامت خطط إيطاليا علي ضرب المصالح البريطانية في افريقيا وبالذات في مصر علي محورين:

- المحور الأول من الجنوب حيث منابع النيل الأزرق التي كانت تحت أيديهم.
- المحور الثانى من الغرب بعد احتلالهم ليبيا.

وكان المحوران يهدفان إلي الإطباق علي مصر من الجنوب ومن الغرب لضرب الوجود البريطاني حتي ولو اقتضي الأمر تدمير مصر..

في المحور الأول الجنوبي خطط الايطاليون بعد غزوهم اثيوبيا عام ١٩٣٥ لتنفيذ مشروع خيالى يقوم علي سد مخرج النيل الأزرق الحالي من منابعه في بحيرة تانا. وكان في عزمهم ان يصرفوا مياه البحيرة في السهول الخصبة الغربية عن طريق نفق يبلغ طوله ٣٠ كيلو متراً. الا انهم لم يتمكنوا من ذلك لسببين الأول صعوبة التنفيذ بسبب شدة إنحدار النهر وثانياً لأن عمرهم في أثيوبيا لم يطل إلا لستة أعوام. وبذلك لم يتخذوا اية خطوة لتحقيق هذه الفكرة. فقد اسرع الانجليز الي مساعدة الامبراطور هيلاسلاسي عام ١٩٤١ بجيش بريطاني كبير للعودة إلي عرشه..

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

كما نجح الانجليز في غرب الجيش الايطالي ـ الألماني المشترك في الحرب العالمية الثانية وهزيمته في العلمين ومنعه من دخول مصر. وبذلك تم إحباط المخططين الجنوبي عند منابع النيل الأزرق.. والغربي في الصحراء الغربية عند العلمين..

والإنجليز أيضا راودتهم نفس الفكرة

وفي بداية العقد الخامس «١٩٥٠» وما بعدها كان الحديث يدور عن أثيوبيا وكيف يسعها أن تدمر مصر والسودان معاً بانشاء سلسلة من السدود العالية عبر الأخدود الذي يخترقه النيل الأزرق، أو بتسميم مجري هذا النهر.

وقد أثير الموضوع مرة أخري عام ١٩٥٦ عندما حاول البريطانيون غزو مصر ـ خلال التفكير في العدوان الثلاثي ـ ولكن هذا كله كان من قبيل الهراء والهزيان. ففي النيل الأزرق من المياه ما يكفي لجرف وتدمير أي عقبة صناعية، اي سد.. ثم أن المعلومات عن هذا النهر حتي عند اثيوبيا غير كافية ولهذا السبب بدأت اثيوبيا منذ

١٩٦٠ محاولة فحص وتحري المنابع الحقيقية للنيل الأزرق ودراسة هذا الأخدود الرهيب الذي شق النهر مجراه فيه. ويمر النهر في هذا الأخود علي عمق مابين ميل واحد وميلين أسفل سطح الهضبة ويكاد يحس الهابط إلي هذا الأخدود بالهليكوبتر كأنه يهبط في أسانسير.

ويضيف الآن مورهيد رحلة الهبوط بالهليكوبتر إلي الاخدود ليبين خطورته قائلاً: كانت جدران الأخدود تتقارب كلما نزلت بنا الطائرة وتحولت السماء فوقنا إلي قوس ضيق من الضياء.. وكان النهر يجري في عرض ١٠٠ قدم فقط وعند كل ثنية في المجري يتحول التيار إلى دوامات من العسير جداً أن يجتازها المرء في زورق. وكان ذلك في شهر يناير والنهر في حالة انخفاض فكيف يكون الحال في نهاية موسم الأمطار في شهر يوليو عندما يرتفع المنسوب ويبلغ المجرى ضعف اتساعه.. بينما الضفتان عبارة عن واجهتين صخريتين صماوين..

يستحيل تسلقهما إلا لمتسلقي الجبال المهرة.. وهي مناطق لم تطأها أقدام الانسان..

ومن هذا الأخدود الذي يمر بالوديان والجبال عدة مئات من الأميال يتكون الغرين الشهير الذي تقوم عليه خصوبة مصر والذي أدي إلي تكون الدلتا المصرية التي ترتفع عدة بوصات كل قرن بما يضاف إليها من الغرين الأثيوبي.

وأثيوبيا أيضاً حاولت!!

وفي السنوات الأخيرة من حكم الشيوعي منجستو هيلا ماريام حاولت أثيوبيا بدعم من الاتحاد السوفييتي قبل انهياره العبث في منابع النيل الأزرق بعد خروج مصر من دائرة النفوذ السوفييتى الشيوعى وفي هذه السنوات التقت مصالح أثيوبيا وموسكو واسرائيل في ضرب مصادر المياه التي تصل إلي مصر. باقامة عدد من السدود علي روافد هذا النهر ومنابعه وقيل وقتها أن الخطة تشمل إقامة ٩ سدود. ولكن الفكرة باءت بالفشل بسقوط النظام الشيوعي في أثيوبيا.. ثم سقوط الاتحاد السوفييتي وتوقيع مصر واسرائيل معاهدة السلام.

ولكن يظل أن السبب الأكبر في موت هذه الأفكار العبثية هو شدة اندفاع مياه النيل الأزرق التي تستطيع أن تجرف أي منشأة علي

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الخزانات والسدود على طول النهر

اقامت مصر - منفردة مرات - ومشتركة مرات الى جانب السودان عدة مشروعات لتخزين مياه النيل للحد من ضياع هذه المياه ولزيادة حجم المياه بعد خروجها من المنابع..

●● علي النيل الأزرق أقيم خزان سنار ومثله عند الروصيرص حيث أول نقطة لحساب كمية المياه القادمة من اثيوبيا.

●● وعلي النيل الأبيض أقيم مشروع جنل الأولياء.

●● وعلي نهر عطبرة الذي ينبع أيضاً من هضبة اثيوبيا أقيم - داخل السودان - خزان خشم القربة.. وهذه كلها توفر ٧ مليارات متر مكعب فقط!!

●● وتوقف للأسف مشروع قناة جونجلي بمرحلتيه للخروج بالمنابع الجنوبية عن منطقة المستنقعات ولتوفير ٥ مليارات م٣ علي مرحلتين..

هذا النهر.. ذلك أن النهر ينحدر بشكل رهيب من ارتفاع ٥٥٠٠ قدم من منابعه عند بحيرة تانا وإلي أن يصل الحدود الأثيوبية مع السودان بعد أن يكون قد قطع أكثر من ٣٠٠ ميل وهي مسافة تكثر فيها الشلالات، ولهذا السبب ظلت منابع النيل الأزرق بعيدة عن الاستكشاف الحقيقي. وبسبب هذه الصعاب تأخر اكتشاف النيل الأزرق إلي العقد الثالث من القرن الحالي علي يد الكولونيل تشسيمان القنصل البريطاني في شمال غربي اثيوبيا الذي كتب يقول «ليس من العقل أن يظل نهر له هذه الشهرة، نهر يعتمد رخاء مصر كل الاعتماد علي مياهه منذ أقدم الأجيال، مهملاً مجهولاً.. ان مجري النيل الأزرق هو الموضع الوحيد الباقي للارتياد الكشفي في افريقيا» وهكذا علي مدي ٨ سنوات منذ تولي القنصل عمله عام ١٩٢٥ استطاع الكولونيل تشيسمان الهبوط إلي الأخدود وقام برحلات قطع خلالها ٥٠٠٠ ميل علي ظهور البغال.. وعاد إلي انجلترا ليكتب مؤلفه البديع «بحيرة تانا والنيل الأزرق» وقال ان النهر تزداد ضراوته كلما مضي قدماً بسرعة ١٢ ميلاً في الساعة وعندما يصل إلى السودان يكون النهر قد هبط من ارتفاع ٤٥٠٠ قدم حيث بحيرة تانا.. وفي سهول السودان يتواثب النهر فوق شلالاته الأخيرة.

احتمالات العبث السوداني

ورغم فشل كل محاولات العبث بالنيل الأزرق داخل دولة المنبع - اثيوبيا - هل تستطيع السودان وهي دولة المعبر للنهر ان تعبث في هذا النهر الذي يوفر لمصر وللسودان معاً ٨٥٪ من مياه الفيضان؟

يجيب خبراء الأنهار ان هذا أمر مستحيل.. فالنيل الأزرق عندما يصل إلي العاصمة السودانية الخرطوم في شكل فيضان رهيب. لأنه ينصب من ارتفاع يقرب من ٥٠٠٠ قدم. بينما ينصب النيل الأبيض من ارتفاع لايزيد علي ٢٠٠٠ قدم. ولهذا نجد مظهر النيل الأبيض هادئاً وديعاً يمكن للسفن

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

حتي للزوارق الصغيرة أن تتحرك فيه. ولكن النيل الأزرق - عند اتحاده مع النيل الأبيض عند الخرطوم - يكون هو مصدر ستة أسباع حجم المياه عند الخرطوم. ويظل ٦ أشهر في السنة متدفقاً بقوة أشبه بتيار المد العاتي ويبلغ من قوة هذا الفيضان في شهر يونيمة أن النيل الأبيض يرتد علي أعقابه عند الخرطوم متوقفاً عن الجريان حيث هو ليخلي الطريق للنهر الشاب الدافق الحيوية الذى يهدر في اندفاعه حاملاً - والكلام لآلان مورهيد - الألوف من أطنان الحصباء وفتات التربة إلي أرض مصر.. ولايهدأ ثوران هذا الإندفاع الهائل إلا في شهر يناير.

وعندئذ يبدأ النيل الأبيض في إثبات وجوده. فتستطيع ان تري عند الخرطوم النهرين «الأزرق والأبيض» يمضيان جنباً إلي جنب ويظل ثمة خط فاصل إلى بضعة أميال بين التيارين علي وجه الماء فتري النيل الأبيض ليس أبيض بالضبط.. وانما هو أقرب إلي اللون الأشهب المشوب بالطين، أما النيل الأزرق فقلما تبدو زرقته إلا عند الفجر.. وفي المساء.. لأنه أقرب إلي اللون الأخضر الضارب إلي الحمرة.. ثم تنطلق المياه مسافة ١٧٥٠ ميلاً ليصل إلي مصر - دولة المصب فهل تستطيع السودان أن تعبث بهذا المجري!!

أما النيل الأبيض فهو يصل إلي الخرطوم بعد أن يفقد كمية هائلة من مياه في منطقة المستنقعات العظمى التى تشكل سداً يحد من النهر في جنوب السودان بعد أن يخرج من بحيرة فيكتوريا منبعه الأساسي في وسط أفريقيا.

السيطرة علي النيل الأزرق مستحيلة

والآن. ماهي احتمالات العبث السوداني في مياه النيل..

هل يمكن أن تتحكم في مياه النيل الأزرق بعد كل ما قلناه.. وهل يمكن ان تعبث في مياه النيل الأبيض الهادىء؟.

-- الإحتمال الأول مستحيل فنياً إلا بتكاليف لا تستطيع عليها حتي دولة عظمي.. وأي محاولة سوف تؤدي إلي إغراق كل أراضي وسط وشمال وشرق السودان لسبب بسيط هو عدم وجود منطقة أو حتي عدة مناطق تصلح لاستقبال وتخزين مياه النيل الأزرق التي تمثل ٨٥٪ من كل مياه النهر التي تصل إلي مصر.. علي عكس الوضع في منطقة السد العالي وبحيرة السد.

-- الاحتمال الثاني أن تحاول السودان العبث في النيل الأبيض وهذا ان كان ممكناً فنياً الا ان تاثيره بسيط لأنه لا يعطي للنهر الأم إلا ١٥٪ فقط.

والآن.. ماذا عن احتمالات التلويث المتعمدة أي تسميم النهر؟

هذه جريمة لايجرؤ عليها أي نظام في العالم. ولم يحدث في التاريخ أن قامت دولة منبع أو حتي دولة معبر إلي تلويث مياه النهر متعمدة.. لأن هذا يعني بكل بساطة: إعلان الحرب العسكرية..

ماذا لو سمموا النهر؟

فإذا لجأ النظام السودانى إلي تلويث مياه النهر فإن هذا لن يكون إلا قبل دخول النهر إلي الأراضي المصرية. أى في الجزء الجنوبي من بحيرة السد العالي داخل الأراضي السودانية.. وهذا يعني أن السودان بهذا سوف يسمم حصته من مياه

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

بحيرة السد البالغة ١٨,٥ مليار متر مكعب سنوياً من إجمالي حصة النهر التي تصل إلي ٧٠ ملياراً وبالتالي فان عمله القذر - لو تم - سوف يعود بالضرر علي الأخوة الأشقاء في السودان أنفسهم..

اما إذا تجاوز الخط الأحمر وحاول بعملية جوية تلويث مياه بحيرة السد في قطاعها الشمالى أي داخل الأرض المصرية فإن هذا لن تتمكن من القيام به الا عبر عمليات جوية سودانية.. وهذا يعني اختراق الطيران السودانى للأجواء المصرية.. فهل هذا ممكن سياسياً وعسكرياً للخرطوم ونظامها العسكري الحاكم..

إذا حدث ذلك فلن يكون الرد إلا عسكرياً شاملاً ليس عند حدوثه فقط.. بل عند أول بادرة بإحتمال إقدام عسكر الخرطوم علي مجرد التحرك لتنفيذه فالأمر هنا يعني الموت.. والحرب من طرفنا في هذه النقطة فقط هي الرد المصري الذي نتمني الا نصل إليه.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية